علائقية أمل النص وألم النَّاص في شعر محمد الثبتي

أ.د. عبدالرحمن بن محمد الوهابي

أستاذ النقد الحديث جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

قسم اللغة العربية وآدابها، المملكة العربية السعودية، جدة

مستخلص. تمثل الدوافع النفسية أحد المحركات الأساسية للإبداع الأدبي، وهي مجموع مؤثرات شعور فردي وجمعي أيضاً. تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة ثنائية الأمل والألم الملحوظة في بناء شعر محمد الثبتي، وأثر سياقهما العقلي والوجداني في التعبير الشعري. وتعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي في اختيار العينة، وتحليل ظاهرة الأمل والألم من منظور التحليل الوصفي والنفسي للمضمون والبناء، وعلاقات الأمل بالمضادات المزوجة له. ويبدأ البحث برؤية موجزة عن مفهوم الأمل، وعلاقته بالحلم عند الإنسان، وأثر ردود الأفعال التعبيرية المتنوعة. ويشرح البحث علاقات الأمل والألم النصية؛ في شعر الثبتي من خلال أبرز ظواهرها، وكيف أن الأمل يمثل ظاهرة ممزوجة بالألم. إضافة إلى ذلك مناقشة السمات التركيبية العامة التي تكشف عن ثنائية خطاب الأمل والألم التعبيرية المتمثلة في التصوير، والإيقاع. كلمات مفتاحية: محمد الثبتي، الشعر السعودي، النقد النفسي

أهداف البحث

• مناقشة العلاقة الدلالية بين الشعور النفسي وتركيب البناء الفني والموضوعاتي.
أسئلة البحث

• كيف برزت طبيعة العلاقة الثنائية القائمة بين الأمل والألم، في شعر محمد الثبتي؟
• ما أثر ثنائية علاقة الأمل والألم في التشكيلين الفني والثيمي؟

• دراسة ظاهرة العلاقة بين الأمل والألم في شعر محمد الثبتي.

• عرض السمات التركيبية العامة التي تكشف عن ثنائية خطاب الأمل والألم التعبيرية المتمثلة في التصوير، والإيقاع.

• ما هي أبرز السمات النصية للتقابل الثنائي بين الأمل والألم في شعر محمد الثبتي؟
تقديم ورؤية:

يلاحظ أن ظاهرتي؛ الأمل والألم ثنائية تعبيرية نفسية في شعر محمد الثبتي، الذي نشرت مجموعته الشعرية الكاملة في عام ٢٠٠٥^١ ويتشكل الأمل بوصفه حلمًا حاضراً أو مستقبلاً مستشفراً للحياة، بينما يحضر الألم وكأنه شعور وجداني حزين يتوجه للتأمل وملاحظات معانات الانكسار النفسي والعاطفي. إن مستوى التقابل بين الأمل والألم في علم النفس التحليلي يحال إلى حالة من اللجوء للتوظيف والتمثيل المجازي الذي قد يصعب فهمه، وهو فناً آلية تعبيرية عن رؤية تناقض الأشياء والنظر إلى طبيعتها^٢. وهكذا، يمكن استشراف رؤية كلية في خطاب شعر الثبتي تتضمن مؤثرات أنساق هاتين الظاهرتين (أمل النص وألم الناص) وسياقاتهما بوصفهما بعدان ثنائيان متقابلان. يتشكل الأمل بوصفه ميلاً عاطفياً يتصارع أو يتقابل مع اليأس، يقوم على الرغبة^٣، أو الأمنية التي تتلاقى مع الرؤية المعنوية، وبهذا، يكون الأمل نصياً رغبة تعبيرية للحاجة أو الرغبة تحت مؤثرات الانفعالات النفسية، فهو متنفس للواقع

يتلاقى وقيم الشعور لينعكس من خلال الصياغة الأدبية. وينهمر التعبير الفني معتمداً على استشراف هذا الإحساس النابع من اللاشعور، وتظهر الكوامن النفسية من خلال الانفعالات الفردية التي قد تتلاقى لاحقاً مع الانفعالات الجمعية المشتركة إنسانياً، فالفن حالة انفعالية للاشعور^٤. وهناك علاقة بين الحلم (الذي هو حالة منامية) ورغبات الإنسان وأمله الذي قد يعد رغبة للقيام بشيء أو تحقيقه، وهذا يتعزز من بعض النظريات النفسية التي ترى أنه "غالبا ما تظهر حاجات الفرد اللاشعورية في أحلامه وهفواته وأعراضه وانحرافاته"^٥. كما أن ثمة علاقة بين أحلام اليقظة والشعر، فهي ليست تماماً كالحلم بمعنى المنام، فقد تكون أقرب إلى الشعور منها إلى اللاشعور، وهي أكثر استخداماً لأساليب التفكير الشعوري والمنطق العقلاني، كما أنها أكثر إشباعاً للدوافع الشعورية^٦، وبهذا يكون الشعر مرتبطاً بالشعور واللاشعور، وهو بهذا رغبات تتأرجح ما بين الآمال الممكن تحقيقها، والآمال التي يرجى منالها.

قد يُستحضر الأمل في سياق الشعر عند الإحساس بفقدان أمر أو الشعور ببعده فيحصل الألم، ومن ثم يترجم هذا الألق الوجداني إلى أفق نصي تسعى الحالة الشعرية لتفريغها. وربما يكون حضور هذا المفهوم عند التوجه العميق للجانب الإنساني أو

^١ محمد عواض الثبتي، ديوان محمد الثبتي: الأعمال الكاملة، نادي حائل الثقافي الأدبي، بيروت، ١٩٩٩. وقد اعتمدت الدراسة على هذه المجموعة الكاملة، علماً أن هذه المجموعة لم تلتزم بترتيب الدواوين حسب صدورها التاريخي.

^٢ كارل يونغ، علم النفس التحليلي، ترجمة وتقديم نهاد خياط، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط. ٢، اللاذقية، ص. ١٦٩.

^٣ فرج عبدالقادر طه، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، ص. ١١٤.

^٤ محمود البسيوني، التربية الفنية والتحليل الفني، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص. ١١٩.

^٥ فرج عبدالقادر طه، ص. ٢٩٥.

^٦ السابق، ص. ٣٠٩.

الرومنسي أو النفسي ظاهراً ظهوراً مباشراً، بحيث يفتشون عن مفاهيم للخلاص في مستويات الأمل بوصفه المُخلّص المنقذ جراء معاناة شخصية أو جمعية. وهكذا يصبح الأمل تعبيراً توظيفياً للتفريغ، أو لعرض صراع المعاناة مرة، أو لسرد مصاد للمعاناة -إن أمكن تنفيساً- مرة أخرى. وربما يعود هذا الأمر إلى عدم الرضا بواقع الحال، ومن هنا يأتي الشعر وكأنه نوع من استقلالية التفكير والقرار لإعادة الصياغة الحياتية الطبيعية الافتراضية أو الفطرية في الكتابة الإبداعية. فالأمل منظومة من السياقات الدوافعية النفسية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، أو البيئية، أو الجندرية، وأنساق هذه المنظومة ينعكس بدوره على خلفية منطلقات رؤية المادة الشعرية، وصناعاتها الفنية والشمية.

يعتبر محمد الشبتي من الشعراء المجيدين، حيث يحظى منتجه الشعري بظواهر شعرية مبتكرة فنياً وذات قيمة موضوعاتياً، ولم ينل هذا الشاعر التفاتاً نقدياً لفترة من الزمن رغم شهرته عند أهل الاختصاص. ويعود السبب الرئيس لمجموعة من سياقات المحظورات المرتبطة بمسيرة الأدب العربي في السعودية إبان فترة الثمانينيات الميلادية الفترة التي برز فيها شعر الشبتي. تلك المرحلة التاريخية حفلت بحركة نقدية ضمن تغير عام في المجتمع، وكان مفهوم ما سمي بالحدثة الأدبية قد أخذ مفهوماً ضيقاً في منظومة الحدثة، وكان مجمل رؤيتها حينها تتمثل في تطبيق لغة التجريب

والتجريد في الشعر خاصة، وتخلل الطرح صراعا تجاوز الخلاف يمكن وصف مرحلته بالخلل المعرفي، وحدثة التجربة الفكرية المعاصرة، مع حضور مفهوم للوصاية الاجتماعية. لقد عكست الحدثة حينها مغالطات منهجية ومعرفية، وكانت لها رؤى ومواقف متطرفة من التراث وترويج لمفاهيم غير حاضرة في مفهوم سياق الحدثة السليم، وإن كان بعض ردود تفكيرها متأثر بالمواجهة المقابلة تحت ملازمة الوصاية ومفاهيم أدلجة مواجهة لا تقل عن ما يقابلها تطرفاً ومرجعية. وكان للشاعر الشبتي نصيب كبير في هذا الوقع التصادمي الذي ليس له في واقع فنيته مجال فيها، ولكنه أقحم بوصفه مظلة للحدثة.^٧ لقد كان تشكيل شعر الشبتي مخالفاً للنمط التقليدي السائد محلياً في الشكل والأسلوب والتوظيف، وغدا تناول هذا الشاعر فيه نوع من المحاذير الثقافية حتى على المستوى الفكري والأدبي وفي بعض الدراسات الأكاديمية حينها. ويعتبر الشاعر رائداً من رواد الاتجاه الحداثي ضمن الأدب في السعودية، فقد استطاع أن يرتفع ببنائه الشعري ليحاكي بذلك نماذج الشعراء الطليعيين العرب الذين صاغوا بناء القصيدة العربية الحديثة، كما أتاحت للشاعر غريته النفسية وانعتاق أفكاره مجالاً واسعاً لصناعة لغة

^٧ لمزيد من الاطلاع عن هذه الفترة ومؤثراتها النقدية والإبداعية ضمن سياق الأدب المحلي في السعودية ينظر الفصل الرابع بعنوان: "تطور الرواية النسائية: الأسلوب والبناء وانعكاس الرؤى" من كتاب عبدالرحمن الوهابي، "الرواية النسائية السعودية والمتغيرات الثقافية: النشأة والقضايا والتطور"، دار كنوز المعرفة، جدة، ط٣، ص ص. ١٧٧-٢٣٢، ٢٠١٦.

شعرية مبتكرة في أدب الجزيرة العربية المعاصر، وعبر عما يجول في نفسه بلغة أدبية تستحضر المشاركة، وتمثل الواقع وتحوله إلى مادة شعرية بعيدة عن التقريرية والرتابة الإخبارية.

يمكن أن يصنف تشكيل البناء الفني عند الثبتي على أنه من النوع الرؤيوي كما في تصنيف بعض نظريات علم النفس الأدبي، هذا الوصف البنائي هو ما يقابل التصنيف السيكيولوجي، حيث إن الجانب الرؤيوي يستحضر تركيباً فنياً يحتوي الإيحاءات الصياغة النفسية التي لا تحلل القضايا النصية ومتعلقاتها النفسية وطبيعتها في النص، بل تعرض بعمق وتفكير وتترك مساحة للتحليل النفسي حولها. وفي هذا البناء التركيبي الأسلوبي النفسي يجعل المبدع مغزاه بعيداً عن الأنظار، وهو ما ينظر علم النفس التحليلي لهذا النوع الأدبي بجمال فني يرفع مستوى الحدث الخام في التفكير الرؤيوي إلى مستوى العرض والتنوير السيكيولوجيين.^٨ ويتطابق هذا عند النظر في توظيف المعنويات وتجسيدها في التركيب الأسلوبي، كما هو أيضاً في الإيقاع الذي رسم تقابلاً نفسياً يتلاقى مع القصائد ومضامينها بتداخل تعالقي فيما بين الإيقاعين الداخلي والخارجي، من حيث تلاقي الإيقاعات الصرفيمية، والصوتيمية لرسم شكل القصيدة بتناغم. إن حضور الأمل في مادة الثبتي الشعرية يعتبر نسيجاً نصياً شمولياً تحت مؤثرات العبادة النفسية

ربما بسبب أنساق ألم الصراع النفسي، وهذا قد يتقاطع مفهومه مع الدائرة التأويلية التي أطرها شلايرماخ، في فهم أجزاء النص الذي يتوقف على فهم كلية النص، وأن فهمه يتطلب فهم الأجزاء المكونة له.^٩ ومن هنا يمكن ملاحظة صور الأمل ضمن رؤى جزئية تتوارى في النصوص في تلازم مع أجزاء صور الأمل، فبين الاثنين تبادل كما في علم النفس، حيث يكون الدافع للأمل صادراً من الأمل ذاته الذي تصاحبه حالة وجدانية يمكن وصفها بأنها سارة أو غير سارة،^{١٠} فتظهر الاستجابة فنياً على المادة الشعرية وصناعة التراكيب وعلائقية الأمل والألم. ويلاحظ أن الدوافع قد عملت على صياغة بناء أو تشكيل القصائد وتأثيرها وتأثرها بمعانيها ضمن آليات أدبية (literary devices) يمكن تحديدها في مستويين اثنين هما: التصوير، والإيقاع. فالتصوير الجمالي عند الشاعر يتجلى في الاستعارات البعيدة التي يكتنفها غموض أدبي جمالي، وهذا المستوى الفني من البعد الرؤيوي في بناء الشكل الفني عند الثبتي مع ما يكتنفه من تركيب يظهر فيه بعض الغموض، إلا أنه غموض لا يصل إلى مستوى العماء وإخفاء المقاصد التي تكون مخفية المعالم، لأن هذا المستوى الأخير، وفق منظور علم النفس التحليلي في الأدب يعتبر مستوى من التعامل مع نوع من الفن المرضي أو

^٩ هشام معافة، *التأويلية والفن عند هانس جيورج غادامير*، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ٢٠١٠، ص ٤٦-٧.

^{١٠} عادل صادق، *الألم النفسي والعضوي*، مهارات النجاح للتنمية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٢، ١٩.

^٨ كارل ينغ، ص ١٦١.

مضى شراعي بما لا تشتهي ريحي
وفاتني الفجر إذ طالت تراويحي
أبحرت تهوي إلى الأعماق قافيتي
ويرتقي في حبال الريح تسبيحي^{١٣}

وتشتد هذه القدرة على الكفاح والصراع في النص مع توارد الحيرة واقتحام المجهول، فيأتي التساؤل من الشاعر عن بوابة ماهية هذه الريح المجازية المغيرة والمحيرة، وكأنها المرحلة الأصعب في الحياة مع إنشاء استفهام تعجبي في قوله:

بوابة الريح! ما بوابة الريح؟^{١٤}

ويحمل هذا النص في ثناياه جوانب رمزية شفافة للحلم الإنساني، ويتلاقى هذا النص مع قصيدة "البابلي" في ديوان "التضاريس" الذي نشر أول مرة في عام ١٩٨٦، حيث يظهر الراوي في القصيدة يكرر تعبير "بوابة الريح"،^{١٥} ثلاث مرات. وفي هذا التكرار إشارة واضحة إلى بعض الثيمات المركزية التي يومئ إليها الشاعر أحياناً، والتي ربما تُشكل في جوهرها العام شخصيته الثقافية والفكرية، والاهتمام الذهني بحيرة التساؤلات الضمنية.

كما يمكن ملاحظة مجموعة من القصائد التي تمثل الأمل جملة، كما في قصيدة "من وحي العاشر من رمضان"^{١٦} في ديوان "عاشقة الزمن الوردي"، وكذلك قصيدة، "إيقاعات على زمن العشق"،^{١٧} في الديوان

ربما العُصابي إذا تمثل حضوره الواضح في الكتابة الأدبية الفنية.^{١١} وقد يأتي بعض الخلط لدى البعض في نعت شعر الشبيبي بالغموض في الصياغة والمعاني، وهذا غير دقيق، كما أن وصف شعره بالانثري خطأ آخر، فالأفكار والمضامين في شعر الشبيبي قريبة للمتلقى مع كثافة مجازية استعارية ضمن المستوى الفني، فتراكيبه ليست بمعقدة غريبة مخلة للغة الشعرية، كما أن شعره كله هو شعر التفعيلة. وسيتضح في التالي هذا التشكيل العام لظاهرة ألم النَّاص وأمل النَّص في شعر الشبيبي، ومدى أثرهما في التشكيل البنائي سواء في التراكيب أو في تقنية الإيقاع.

ثنائية الأمل والألم:

يظهر الأمل بوصفه ظاهرة شعرية ثرة في شعر الشبيبي، وتجلت هذه السمة تتابعياً في شاعريته لتكون محور موازنات فكرية وروابط فنية في صياغاته البنائية منذ صدور ديوانه الأول "عاشقة الزمن الوردي" الذي نشر في عام ١٩٨٢. وتعد قصيدة "بوابة الريح"^{١٢} في هذا الديوان من جميل قصائد الشبيبي؛ حيث تضمين بعض رؤاه الفكرية وتجلي سماته الفنية. ففي مطلع القصيدة استحضار لعزيمة الإنسان، وقدرته على الكفاح في الحياة ورغبته في الوصول إلى ما يسكن النفس من خلال التأمل، والتفكير في صيرورة القدر الذي هو أمل تصديقي للواقع، حيث قوله:

^{١٣} السابق، ص. ٢٩٩.
^{١٤} السابق، ص. ٢٩٩.
^{١٥} السابق، ص. ٣٨.
^{١٦} السابق، ص. ٤١-٢٣٩.
^{١٧} السابق، ص. ٢٩-٢٢٧.

^{١١} كارل ينغ، ص. ١٦٤.
^{١٢} الشبيبي، ص. ٢٩٩.

نفسه. والأولى قومية وطنية، والثانية رومانسية غزلية، فضلا عن بعض القصائد الأخرى في دواوين الشاعر. وفي قصيدة "الأسئلة"،^{١٨} يحضر الأمل في نص شعري محفوف بالجمال. وتظهر صورة الأمل -ها هنا- في الرغبة في إيجاد حالة من الصفاء والتوازن، وكذلك الرغبة في تجاوز الرواسب القديمة أو الإرث الذي يحجب الرؤية والنظر والانفتاح على الحياة:

أقبلوا كالعصافير يشتعلون غناءً

فحدقت في داخلي

كيف أقرأ هذي الوجوه

وفي لغتي حجر جاهلي؟^{١٩}

وفي القصيدة رؤية لرفض الأقنعة في التعامل الإنساني والحياة، والمبالغة في الأشياء. فسماع الغناء متعة، وفيه استحضار للتأمل، كما أن البكاء الوارد في هذا النص تعبير جميل طبيعي آخر كالغناء مصدره الحزن أو الكآبة أو الإحباط، وهو هنا لغة تعبيرية. والقصيدة ذاتها تحمل ثنائية تضاد معبرة بين: الغناء والبكاء. فكلاهما تعبيران جميلان عن الحياة ينشدان الأمل والرؤية ويسعيان إلى خلاص الإنسان:

هل يعود الصَّبَا للغناء المُعَطَّرِ

أو للبكاء الفصيح^{٢٠}

ويلاحظ اتكاء الكثير من النصوص التي تباشر الأمل توشحها قيما إنسانية، فيظهر الأمل متباريا مع ثنائية تقابله تتمثل في مجالات الألم. كما في قصيدة "النغم الثاني الشوق المهزوم"^{٢١} في ديوان "عاشقة الزمن الوردي" حيث استحضار هاتين الثنائيتين:

والشعر جرحٌ نازفٌ

ملأت حقائبها به الآلام^{٢٢}

فكأن الألم محطة يرتاح فيها الشاعر قليلا ليقدم لنا من خلالها صورة عن العالم، كما يراه. وبهذه الطريقة يصبح الألم النفسي حافزا من حوافز التعبير الشعري، بوصفه سمة نفسية تنقل سياقات المعاناة، إلى القارئ، بأطيافها الفنية، وقيمتها الإنسانية.

وهناك مجموعة من القصائد التي تحمل ثنائية الأمل والألم في شعر الثبتي، مثل: قصيدة "موقف الرمال موقف الجناس"^{٢٣} في ديوان "موقف الرمال" الذي حمل هذه الظاهرة المعنوية النفسية، بوصفها رؤية شعرية، ويجعل الشاعر من الألم أفقا يطل منه على الحياة:

أصادق الشوارع، والرمل والمزارع، أصادق النخيل

أصادق المدينة، والبحر والسفينة، أصادق البلابل^{٢٤}

ويمكن أن يفسر الألم ومخرج ثنائيته من هذا كما في علم النفس على أنه عملية فسيولوجية نفسية،

^{٢١} السابق، ص. ٢٨٩-٩١.

^{٢٢} السابق، ص. ٢٩٠.

^{٢٣} السابق، ص. ١١.

^{٢٤} السابق، ص. ١١.

^{١٨} السابق، ص. ١٢٥-٩.

^{١٩} السابق، ص. ١٢٥.

^{٢٠} السابق، ص. ١٢٥.

وليس باثولوجية حسية.^{٢٥} وهذا النص ذو مرجعية دلالية ما بين ثنائية تلاقي الأمل والألم، ويحمل فلسفة لرؤية العالم والحياة، وهو نسيج تعبيرى فني فيما بين الأمل الاستشراقي والألم المحفز للأمل. ويبدو النص -في بعض جوانبه- صورة من حياة الشاعر المضطربة، وفيه نرى شخصيتين: شخصية الكائن المجهول ذي البصيرة وشخصية الشاعر التائه. ويشير مطلع النص إلى اللقاء بين هاتين الشخصيتين. وهنا نرى الشاعر وحيدا يسير في التيه: في الرمال. وحيد يلقي وحيدا. وها هو يعرفه بنفسه، ويسميه بأحرفه "ميم وحاء وميم ودال". ويرتبط هذا المجهول بالنخل الذي هو صورة الصمود:

أنت والنخل فرعان

أنت افترعت بنات النوى

ورفعت النواقيس.

هَنّ اعترفن بسرّ النوى

وعرفن النواميس^{٢٦}

وتأتي لفظة النخل مكرورة في مشهد القصيدة الأول، أربع مرات بإلصاق ما بين البطل والنخل، ووضعهما في قالب صفات واحدة من خلال ضمير المخاطب في النص، كما في قوله: "أنت والنخل فرعان"، وقوله: "أنت والنخل صنوان"^{٢٧} وكذلك "أنت والنخل طفلان"^{٢٨} ومرة رابعة تأتي بإطلاق المساوات

بين البطل والنخل في سمات مفتوحة في قوله: "أنت والنخل سيان"^{٢٩}

ويأتي الخوف بوصفه ألما معنويا بسبب فقدانه الشعور بالأمن النفسي حاملا الألم مع رؤية في الأمل، ففي ديوان "التضاريس" يلاحظ هذا مع قصيدة "المُغني"^{٣٠} ضمن حوار المغني والراوي، ذلك المغني الذي يشكي غياب القوافل وما تتضمنه من خير وزاد وصحبة وترحال،^{٣١} وذلك الراوي الذي يستمع لأهات المغني ويهون عليه طبيعة فهم الحياة وأن ما يؤرقه هو فهمه لها ولـ "الزمن المتقابل"،^{٣٢} تلك الثنائيات المتعارضة المتداخلة والتشبيه بينها وبين المدينة المغلقة وبوابتيها المصنوعتان من خمر وزنجبيل، وللجرح المعنوي بوجهيه، حيث الظمأ لعدم قدرة الحناجر على النطق، أو الوطن إذا لم يكن وطنا.^{٣٣} وفي القصيدة ربط ما بين الألم في فقدان الحرية المتنوعة وبين الأمل الذي يجعل سنة الحياة وتطورها وخبرة المجتمعات وسيلة للصبر وتسكين الألم، وختمت القصيدة بهذه الرؤية المتفائلة المستمرة لترويح النفس نحو الأمل:

ابتكر للطفولة شكلاً..

كتاباً تطارحه الخوف،

تقرأ فيه محاق الكواكب،

تكتب فيه حروف الندم

^{٢٩} السابق، ص. ١٥.

^{٣٠} السابق، ص. ٢٦-٧٠.

^{٣١} السابق، ص. ٦٧.

^{٣٢} السابق، ص. ٦٧.

^{٣٣} السابق، ص. ٦٨-٩.

^{٢٥} عادل صادق، ص. ١٨١.

^{٢٦} الشبيبي، ص. ١١-٢.

^{٢٧} السابق، ص. ١٣.

^{٢٨} السابق، ص. ١٣.

ابتكر للطفولة عرساً تُعلق فيه التمايم
واللعب الورقية.. والأغنيات^{٣٤}

فالطفولة وبراءتها مطلب جميل ومدعاة للبحث عنه،
والكتاب معرفة يزيد فهم الأشياء، فيزول الخوف
ويبتعد الألم، فالطفولة جملة من البيئة النقية
والطاهرة وهي أمل نحو المستقبل.

وتحضر قصيدة "الصعلوك" في ديوان "التضاريس"
بمطلع يحمل صورة مروعة لعذابات النفس
واضطرابها الذهني، وجاءت في صيغة ضمير
الغائب لهذه الشخصية القلقة مع مواجهات الحياة،
التي لا تجد ملاذا لها مع صراعها إلا بالقناعة
الذاتية، والرجوع إلى النفس، وإشباع رغبتها في
الكتابة على الأوراق، حيث يتحصل التنفيس من
التعبير:

يفيق من الخوف ظهرا

ويَمْضِي إلى السوقِ

يحمل أوراقه وخطاه^{٣٥}

ويمكن ملاحظة تلاقي الأمل والألم في قصائد
أخرى مثل: قصيدة "تغريبة القوافل والمطر"،^{٣٦} في
ديوان "التضاريس"، وقصيدة "في أحضان السكون"،
في ديوان "عاشقة الزمن الوردية" وغيرهما.

تشكيل صراع الألم النفسي والأمل النصي:

يعتبر شعر الثبتي مكون من معاناة، ومن تجربة
إنسانية شغافة تستحضر الإلهام المنتقل إلى الحدس

الذي يتحول إلى صياغة مادة شعرية تتحاور مع
المفاهيم السلوكية والسائدة، والمغالطات التطبيقية،
بحيث تأتي صياغة اللغة الشعرية قناة لهذه التجارب
وصياغتها شعرياً. ويمثل الألم في هذا السياق
مدلولاً عن خيبة أمل صادرة عن مجموعة أبعاد في
الذهن الإنساني، فمنها النفسي ومنها الاجتماعي،
فيلجأ الإنسان إلى مجموعة من ردود الأفعال التي
منها التعبير وأساليبه المختلفة. وما تحمله لغة ما
بعد الحادثة من سمات تقابلات المعاني، وتناقض
الأفكار، وتساؤل الماضي، يستحضر في شعر
الثبتي، وهي سمات متطورة للشعر الحديث
وعلاماته في استقراء المدلولات واحتمالاتها، ورسم
نظام أو محاولة رسم نظام من القواعد تتخذ في
ضوئها علامة يمكن الوصول منها إلى المفهوم
الإشاري للمدلول،^{٣٧} ومنه إلى الرؤية والتصوير
وملامسة ظواهر أبعاد التشكيل الفني. وقد يكون
الإبداع تعبيراً عن الصورة المأمولة الصادرة من أمل
يواجه الألم المحيط، فتخرج المادة الإبداعية رافضة
للمحبطات والقيود، فالمبدع/ة لارتباطه بالتفكير
الحر صاحب ميول للرفض في اللغة والأسلوب أو
المنطق الذي يفرضه عليه المجتمع، ويعتبر ذلك
قهرًا وسلطة أبوية غير منطقية، ومن هنا يفرز
القهر والإحباط، ويأتي الإبداع الجيد الذي هو ثورة
وسمة من الفنون.^{٣٨} وهكذا، تأتي قصيدة "ترتيلة

^{٣٧} أمبرتو إيكو، *السيمبائية وفلسفة اللغة*، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة
العربية للترجمة، ٢٠٠٥ بيروت، ص ٩٢-٧.

^{٣٨} ماجد مورييس إبراهيم، *سيكولوجيا القهر والإبداع*، دار الفارابي،
بيروت، ١٩٩٩، ص ٦٢.

^{٣٤} السابق، ص ٧٠.

^{٣٥} السابق، ص ٧١.

^{٣٦} السابق، ص ٩٧.

يا دماً يدخل أبراج الفتوحات
وصدراً ينبت الأقمار والخبز الخرافي
وشامات البياض^{٤٢}

ومع لفظة "البياض" يظهر مدلول النقاء، وينفج
الأمل في هذه القصيدة المشبعة بالإحباط
والسوداوية في قراءة العراف عن الحال والمستقبل.
وفي ذات الوقت، فإن سنة الحياة هي تأرجح السلب
والإيجاب والموت والحياة وتناوب كل منهما عن
الآخر أو انقلابه عنه. ويلاحظ في آخر النص
تفاؤلاً بتحول الشامة أصلاً إلى بياض، وأنها كذلك
مع لونها الأصلي الأسود.

ويشرق الأمل مع العربي المسافر في قصيدة "أغانٍ
قديمة لمسافر عربي"^{٤٣} ضمن ديوان "عاشقة الزمن
الوردي"، تلك الشخصية الباحثة عن ينباع جديدة
من الخير والتفاؤل، وتتكشف لنا سماتها من خلال
النص وهي تنتظر رحيل القافلة لتسافر إلى ذويها،
وهي في حالة إحباط وقلق من تغير موعد مغادرة
القافلة وتأخرها، وتأتي أوصاف هذا العربي المرتقب
للسفر مجهول الهوية على أنه من أرض الجزيرة
العربية، فهو مرة رجل من قبيلة عبس، ومرة أخرى
رجل من قبيلة طي، ومرة ثالثة "طفل من أنف
الناقة".^{٤٤} ومع هذا الإحباط للمنتظر المترقب الذي
يحرص على السفر لبغية في نفسه، يأتي التركيز

البدء^{٣٩} متصدرة ديوان "التضاريس" محجة برمزية
عالية. وهي في الوقت نفسه ذات دلالات متنوعة
عند قراءتها نقدياً، ومن ذلك: أنها لوحة تحمل
أطيافاً من شعور الإحباط حول حياة الإنسان، تلك
التي ينفجها العراف الذي يقرأ مناخات السلوك
الإنساني، وطبيعة الحياة الكونية، من مطلع
القصيدة في غمرة من اليأس والقنوط في مثل قوله:
جئت عرافاً لهذا الرمل

استقصي احتمالات السواد^{٤٥}

والقصيدة تزخر برمزية سوداوية، فلا سماء تمطر،
ولا أرض تثبت الزرع، ولا حياة تتكون أو تستمر.
ويوسع الشاعر من سوداوية الصورة فيضيف إليها
الملح والقطران مرة، والغراب والنار مرة أخرى، والدم
مرة ثالثة. ويتكثف الإحباط في تأويل العراف وسرد
الحكاية عن هذا السواد فيقول:

قل: هو الرعد يُعري جسد الموتِ

ويستثني تضاريس الخصوبة^{٤٦}

ويستحضر هنا مستوى عال من الإحباط الكوني،
حيث القحط التناسلي في رمزية توقف خصوبة
الإنتاج الممكن. إن القتل والدم عوامل تجعل
الإنسان يبني الفتوحات ويشيد الدول ويتوسع
جغرافياً، ومع هذه الصورة للموت والحياة وتبدلهما،
يبرز الأمل من هذه الصورة السوداوية ويختم النص
مع قوله:

^{٤٢} السابق، ص. ٦١.

^{٤٣} السابق، ص. ٢٦٥.

^{٤٤} السابق، ص. ٢٦٩.

^{٣٩} الشيبتي، ص. ٥٩.

^{٤٥} السابق، ص. ٥٩.

^{٤٦} السابق، ص. ٥٩.

على النداء في مطلع المقطع الثالث للقصيدة مع قوله:

يا حادي العيس في ترحالك الأمل.^{٤٥}

وتختتم القصيدة بمقطعها الرابع الذي يحمل الأمل عند انتهاء لوازم الألم وذلك عند الوصول إلى بغيته، حيث بزوغ الربيع وتحقيق الأمل:

آتٍ أنا وفي شفاه النور ملحمة

وفي عيون الربيع الحلم إيمانٌ

آتٍ، لعل فتاة الحيّ تعرفني

إذا أفاقت وملء القلب إنساناً^{٤٦}

ويظهر الأمل في هذه الخاتمة جليا يوارى الإحباط حيناً ويباريه حيناً آخر، وكأنه منولوج يختتم النص به، ويكون القلب هو المؤشر للطمأنينة عند وصول المغترب إلى موطنه النفسي مع رجاء بقاء الماضي وراءه ليلتقي مع ذاته وقلبه وحبيبته ليستعيد أنسنته.

وتعد قصيدة "الوهم"^{٤٧} في ديوان "عاشقة الزمن الوردية" وشاحاً شعرياً مرصعاً بمعاني الإحباط ومضات الأمل. وهي نص حكائي يسرده الراوي للمخاطب شارحاً وجهة نظره حول فعل الأشياء في الكون والحياة، ناسجاً ذلك الشرح بتراكيب في غاية الرمزية الشفافة القريبة، حيث الحس يأتي في صورة معنى في قلب الأشياء، وكأن الإدراك والحس للمفاهيم انعكس على تركيب اللغة الجمالية ما يفيد

انقلاباً في جمل الأشياء، وهذا الأمل الاستشراقي يمكن رؤيته في مطلع القصيدة مع قوله:

وأتيّت مع شمس الصباح

وهماً بخاصرة الربيع

عطراً يموج على الدروب

ويصبح الإحباط طريقاً للأمل، فتتعاطى هذه المعاني القصيدة حتى يصل الراوي في سرده الشعري نهاية المقطع الأول من النص بتنبيه ونداء حول نتيجة الخبرة الحكائية وما يجول في نفسه:

ها قد أتيّت فلم يعد

في الكون حلمٌ قد يضيع^{٤٨}

ويظهر هنا التزاوج ما بين الإحباط المسترسل نصاً ليواجه بالأمل خاتمة للرؤية وتفاؤلاً ظنياً حول الأشياء، وكأن الأمل بعث من موت يكون الإحباط دافعه اللازم أو الوسيلة لافتراض وجوده بوصفه مقابلاً يجب أن يستحضر في الذهن.

ومع المقطع الثالث يبدأ الشاعر بالأمل وينهيه بالإحباط، وهو مقطع يحفل بمشهد درامي للحياة ومتعها وملازها والتي فجأة ما تقلب المجن وتتحول مجرياتها دون نذير، وفيه يظهر الأمل تائها كقافلة أغراها القمر الصحراوي أو أضاع وجهتها فجاءت الرياح ورمال الصحراء وعكست صفوة رحلتها، وتكون الحاجة والفاقة حتى يرى سراب الماء رمزا للأشياء وبعد منالها، وهذا يلاحظ في قول الشاعر:

كنا هناك قوافل

^{٤٥} السابق، ص. ٢٧٠.

^{٤٦} السابق، ص. ٢٧١.

^{٤٧} السابق، ص ص. ٢٥٧-٦٠.

^{٤٨} السابق، ص. ٢٥٧.

في البيد يحدها القمر

وتغوص في جوف المدى المجهول

والأفق الرحيب^{٤٩}

ويذهب الراوي في المقطع الثالث والأخير في النص صوب رؤية شمولية في تحليل خلفيات الإحباط والنظرة التشاؤمية، مع قوله في هذه القصيدة "الوهم":

مأساتنا في خطونا المصلوب

في صدر الزمن

في حبنا المنقوش في طبع الرياح^{٥٠}

ومع هذه الصفات للأشياء والتعليل حول رؤية الواقع والمخزون الثقافي الذي أصل ثقافة النظر إليها ما كون سببا في قبح الجمال، وقهرا نفسيا ومرجعية للأشياء تاريخيا بتقديس، وهذا الشبح في الرؤية الثقافية مس أجمل الأشياء في التعامل الإنساني، وأشار إلى الحب الذي حتى لو حفر في الذاكرة والقلب فإنه يظل محجوبا عن متعته وجماله للنظرة المختلفة إليه، ولهذا هو متناقض ثابت، ومنقوش، ولكنه غير ثابت تهزه الرياح وتجعل ثوابته متحركة غير ثابتة. وتأتي خاتمة هذا المقطع بثنائية الإحباط والأمل، مع قوله: "نجمٌ يُطل على الحقول بلاشعاع"^{٥١} حيث يكون كوكب النجم بجماله في وشاح الظلام، وضوئه الساطع، أملاً باقياً ومستمراً،

^{٤٩} السابق، ص. ٢٥٨.

^{٥٠} السابق، ص. ٢٥٩.

^{٥١} السابق، ص. ٢٦٠.

مع تحفظ في حضور وكمال وظيفته وهو دون شعاع حسي.

تشكيل التصوير ومؤثرات الألم والأمل:

يُظهر التصوير الشعري عند الشبتي لوحات متنوعة من أدوات التشكيل الفني فيتم نقل فنون مشاهد متعددة بلغته الشعرية للمتلقي. ويلاحظ ظواهر عدة من انزياح جماليات الصور عنده لتتصف بالحركة، فيأتي المحسوس معنوياً، ويبرز تشخيص الأشياء مع نقيضها، كما أن الاتكاء على الاستعارات، وتكوين لوحات تصويرية من المشاهد مزية في براعته الشعرية التصويرية. والثبتي يفيد فناً من استدعاء التراث وإسقاطه لمقاصد معنوية تناصية، ويمكن وصف شعره بأنه من المادة الشعرية الحديثة التي برزت في الشعر الحديث تلك التي تتكى على الدلالة النفسية والإيحاء.^{٥٢} ويسترسل الشبتي نفسياً في كثير من شعره فتظهر بصورة سردية طويلة، لا يظهر خلل في وحدتها الموضوعية أو البنائية، كما يجعل من صياغة اللغة مركبة النقل لإيصال مضامين شعره اليمية عامة ومتعلقات الأمل بخاصة. وهناك آليات مهمة ومطرده في شعره لتكوين الصورة وعلائقياتها لعل أهمها توظيف المعنويات، وتجسيد الأشياء، وتشخيصها في استعارة مفردات الطبيعة والكون جملة، والاتكاء على الإضافة في التصوير لإضفاء الموصوف على الصفة.

^{٥٢} محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١، ص. ٤٣٣.

ويظهر أن التشكيل البنائي للصورة كان لأثر الأمل والألم دور في تكوين الكثير منها، فتأتي صناعة التعبير بجماليات لغوية تتضمن مضامين فكرية وجدلية ومن هذا قوله:

مأساتنا في خطونا المصلوب

في صدر الزمن

في حبنا المنقوش في طبع الرياح^{٥٣}

فهنا يظهر تحويل مفردات الإحباط والألم إلى بنية مفتوحة على آفاق الصورة الشعرية، وتحويل مفردات الواقع من حسيتها ووظيفتها إلى أنسنتها لتكتسب وظيفة التجسيد والشعور الإنساني، واستعارة معطيات الإنسان.

ومن سمات الصورة المطردة في شعر الثبتي، ما يلاحظ أيضا في أسلوب الإضافة عند إعطاء المضاف صفة المضاف إليه، فالمضاف لا يكتمل تصويرا إلا مع معنى مفردة المضاف إليه، مثل: خطونا المصلوب في صدر الزمن، ونحو طبع الرياح. وهذا المزج ما بين تحقيق معنى المضاف من المضاف إليه تعميقا لمعنى الصورة المركبة لغويا.

كما أن من سمات الصورة عامة وفي لوحات الأمل بخاصة توظيف عميق لمعاني المفردات من حيث استدعاء علاقاتها لتسقط في الصورة على سبيل المثال ما يلاحظ في مطلع قصيدة "الوهم" مع قوله: وأتيت مع شمس الصباح

وهماً بخاصرة الربيع

عطراً يموج على الدروب^{٥٤}

وهنا ينتقل الأمل في صورة تبدو تقليدية مطروقة حتى في معناها، حيث المجيء مع الصباح، ويتلو ذلك صورة عميقة تجاوزت المفهوم الرومانسي في مفهوم الشمس والصباح، تشير إلى الأمل، وثم مزج الصورة الأولى بالصورة الثانية في كون الشخصية وهماً، وكون الوهم حساً جسدياً تكون خاصته ومنبع حياته الأولى ربيعاً يحمل كل معاني السرور والفرح، ويأتي بعد ذلك توضيح الصورة بتوال لتكون الشخصية أيضاً عطراً لا يتلازم مع مفردة الفرح التي تلازم العطر، ولكنه عطر يموج ويأخذ معطيات الموج وتلاطمه وحركته ليس في البحر، بل في دروب الحياة وآملها وآمالها، وهذا التحول في لغة التصوير هو نوع من استدعاء الحالة الشعرية لتأسيس علاقة جديدة في الشعر من خلال التصوير الذي يكشفها. ويلاحظ الأمل في مثل هذا بوضوح على سبيل المثال في قصيدة "ترتيلة البدء" من ديوان "التضاريس" مع قول الشاعر:

قل: هو الرعد يُعزِّي جسد الموت

ويستثني تضاريس الخصوبة

قل: هي النار العجيبة

تستوي خلف المدار الحر تبتينا جميلا

وبكارة نخلة حبلى،

مخاضاً للحجارة^{٥٥}

^{٥٤} السابق، ص. ٢٥٧.
^{٥٥} السابق، ص ص. ٥٩-٦٠.

^{٥٣} الثبتي، ص. ٢٥٩.

فالصورة تخاطب الزمن القادم المتعلق بالخصوبة المستقبلية، كما هو الأمل. والنص كما ذكر قراءة عراف عن المستقبل، والانخراط مع الأمل عامل معنوي ليس بحسي، وتوارد الأمل والمستقبل في الحبل بحجارة ألم، ولكن التنين جاء موصوفاً جميلاً بمعنى أنه لما يزل يحمل أملاً، كما أن بنية الصورة مفارقة بين تنين وجميل، وحبل بالحجارة، وهو تألف في بناء التخاليف أي أن الشاعر يقوم ببناء الصورة الشعرية باستخدام طرفين متناقضين وكل طرف له دلالاته الأولية بالنسبة للمتلقى، ثم عند المزج بينهما يتخلى كل طرف عن دلالاته المعهودة لتتولد دلالة جديدة. فالتنين يحمل معطيات الغدر والسوء ويتحول إلى معطيات الأنس والبهجة في لفظة "جميلاً" وأيضاً في لفظة "حبل" حيث تجميل المشهد. وهذه الصورة التركيبية لا يكاد يخلو شعر الثبتي منها منذ كتاباته الأولى في شعر التفعيلة. ويمكن ملاحظة بعض سماته التصويرية جملة في مثل نصه "ليلة الحلم وتفاصيل العنقاء"^{٥٦} في ديوان "تهجيت حلماً تهجيت وهماً"، مع قوله:

كانت الرؤيا ربيعاً من جحيم

-سندسي اللون-

مسفوحاً على وجه المدينة

المدى يجهش بالأحلام

والجدران اشأبت من على صدر المدى الناري،

كالبلور تمتد إلى جيد القمر

وتترواح الصورة الشعرية هنا بين المعنويات والحسيات، فالرؤيا المعنوية جاءت حسية وأخذت تجسيد الربيع وعلاقاته الممكنة فيه من جمال وبهاء وراحة نفسية، ولكنه ربيع تناقض مع صفة الجحيم التي لحقته، وكأن رؤية الأمان تتحول وتتقلب من وجهة إلى أخرى فتتطور الصورة الشعرية في القصيدة إلى هذا الذي يأخذ اللون السندسي الأخضر الذي هو أقرب للون الجنة منه إلى النار، مع كون الصورة مجازية ورمزية في ألفاظها إلا أن وصف الصورة اعتمد على تقابل المفردات لرسم الصورة في كليتها وجزئياتها. فمفردة "مسفوحاً" الملتصقة بالدم والقتل جاءت للون الجحيم الذي تحول هنا إلى أمان واستقرار للمدينة بخضرتها وجماله، ثم بعد ذلك تنتقل الصورة لوصف المدى المعنوي في صورة حسية لشخص يجهش، ولكن ليس ببكاء، بل بالأحلام الزائلة التي يحزنه زوالها أو عدم القدرة على توفرها. ويلاحظ مجيء المعنوي حسياً في كلمة "من على صدر المدى الناري" وذلك بإضافة الحسي "الناري" إلى المعنوي "المدى" فيكتسب المضاف من المضاف إليه معطياته، ثم يكون هذا المدى المعنوي مضافاً إلى لفظة "الناري" فتتبادل المعطيات النعتية من الكلمات بالإضافة بصورة منظمة وشاعرية، وهي مزية تصوير عند الثبتي في الإضافة أو في الصفة ونحو ذلك لكسب الكلمة معنى الثانية.

^{٥٦} السابق، ص. ١٨٥.

نص للثبتي يتبادر لنا الشكل الحديث لرسم القصيدة وحركة إيقاعها، إضافة إلى رغبة في الخروج عن التقليد وابتكار شكل يتوافق وسمات فنائه الشعرية اللغوية وتراكيبها التصويرية وصولاً إلى معان جديدة في كل نص شعري.

وتظهر قدرات الشاعر في إظهار صوت الشعر عنده مرتبطاً بقدرات عالية في مستوى الإيقاع، ورسم الكلمات، والوقوف عند بعضها، وتشكيلها ليتوافق الإيقاع مع ما يليها.

كما أن مادة شعر الثبتي هي ضمن مستوى إيقاع شعر التفعيلة بصورة عامة، وله بعض القصائد العمودية كما في قصيدة "الخطب الجليل" التي كانت رثاء للملك فيصل، وجاءت على بحر الكامل،^{٥٩} ومثلها إيقاعاً، وفي موضوع قومي في ذات الديوان، قصيدة "من وحي العاشر من رمضان" التي مطلعها:

لم يبق في سيناء جرحٌ ينزف

كل الجراح تجرعتها الأحرف^{٦٠}

ولا يعنى الشاعر إلا بشعر التفعيلة في تجربته الشعرية ربما لما يوفره له من حرية وتطوير للمادة حسب التوجه النفسي لها معنى وإيقاعاً. وتدل المادة الشعرية والإيقاع الموسيقي على التعبير الشعوري والإنشغال الذهني، فهناك علاقة من خلال: المجاز والتلميح.^{٦١} ويلاحظ عناية الشاعر

وجاء بعد ذلك تزواج ما بين المدى وما بين الجدران التي اشرأبت من صدر المدى المادي المعنوي في أصله، حيث وقوف حواجز الجدران عن تحقيق الحلم، ولكنه يظل في صورة قمر مضيء لما في هذا الحلم من مستقبل ودلالة للأمل.

وهكذا، تأتي صور الشاعر ناقلة لثيمات النصوص وأحاسيس الناص النفسية فينقل أمله وألمه من خلال: تقارب المتناقضات، وثنائية الإضافات، وتجسيد المعنويات، والاهتمام بعلاقات التضاد.

الألم والأمل وتشكيل الإيقاع:

يمثل الإيقاع عند الثبتي محورا رئيسا في الشكل الشعري، فإذا كان البناء التركيبي والتصويري من أهم سمات القصيدة الحديثة،^{٥٧} فإن الفضاء النصي يمكن أن يضم لهذه الأهمية لمدلولاته التي تأتي عليها القصيدة الحديثة لتتوافق دون اعتباطية مع موضوعها، وفنية بصرية لصناعة الأدب الحديث وأجناسه المختلفة بخاصة في الرواية والشعر.^{٥٨} والاعتماد على الإيقاع لا يأتي دون ترابط ضمني مع النص، حيث يلاحظ ثمة ترابط ما بين الحقل الصوتي والدلالي. فالصوت يعد تشكيلا، والدلالة تعمل على نقل المفهوم المشترك ما بين الصوت والدلالة. كما أنه وبمجرد النظر في أي

^{٥٧} ينظر سلمى الجبوسي، *الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث*، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. ٢، بيروت، ٢٠٠٧، ص. ١٦-٦٠٦. موضوع: "اتساع مجال الحركة: النظرية، والتطبيق، الشكل والمحتوى"، حيث الموضوع يتعلق بالشعر الحر.

^{٥٨} حميد لحداني، *بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩١، ص. ٦٠٥.

^{٥٩} الثبتي، ص. ٢٣١-٤.

^{٦٠} السابق، ص. ٢٣١.

^{٦١} رشيدة التركي، *الجماليات وسؤال المعنى*، ترجمة: إبراهيم العميري، الدار المتوسطة للنشر، بيروت وتونس، ٢٠٠٩، ص. ٥٧.

ويلاحظ مثل هذا أيضا في قصيدة: "برقيات حب إلى غائبة" والتي يناجي الراوي حبيبته آملا لقاءها فهي الأمل الذي يُسكن روح الحياة، فيأتي الإيقاع جدولا منهمرا على تفعيلات المتقارب، ومن البدء يلاحظ اندفاع العواطف مع اندفاع الإيقاع الصوتي والموسيقي:

أجيء إليك..مُخْباً مُخْباً
أجيء إليك

ولي بين نهديك
بيتاً وحباً

وماءً وعشبا^{٦٤}

ويستلزم الاهتمام بالأوزان الدالة على التعبير كما في تيار الرمزيين "دراسة بأسرار اللغة الصوتية، وقيمتها الجمالية، ووقوفا تاما على التناسب بين الدلالات الصوتية والانفعالات التي تتراسل معها وما يتبع ذلك من تلميح وتركيز وسرعة وبطء وتكرار وتوكيد وتوزيع في النغم".^{٦٥}

ففي نصه المعنون بـ "القصيدة" مشاركة حول إلهام الشعر والشاعرية ومفهوم فلسفة الشعر وتناقض الحياة، ومقابلتها أيضا، وتطويعا لتركيب صياغي جميل وناقص يتعلق بالمعنى، وذلك في مثل قوله:

وَألفٌ من الفاتنات الأنبيات يفرح

ما بينهن عروس

ولا أنت أوتيت حكمة لقما

بالجرس الإيقاعي وتوافقه مع المعنى والصورة التي تنقلها الجملة، مثل ما تضمنته قصيدة "سألقاك يوماً" من ديوان "تهجيت حلماً تهجيت وهماً" ومنها قوله:

سألقاك.. يا أنتِ

يا من شربت وإياك نخب البطولة صرفاً

على رقصات السيوف

ويا من نقشت خيالك وشماً

على ساعدي

وصُغت على شفتيك الفرخ^{٦٦}

ومن خلال هذا النقل لكتابة النص، يلاحظ تناسب الإيقاع وانسيابه، وفق مقاطع صوتية وجرس إيقاعي ينقل المعنى مع الألفاظ، فالبداية من قوله: "سألقاك" إلى قوله: "صرفاً" جملة شعرية تقرأ بنفس واحد، وحركات الإعراب تساعد على تواصل جرس الكلمات دون انقطاع. ومن ثم يتواصل النفس الإيقاعي ليكون الوقف متدرجا مع الكلمات "السيوف" ثم مع كلمة "وشماً" ويتوقف مع آخر كلمة في المقطع مع قوله: "الفرخ".

وتأتي الكثير من القصائد في مشاهد يتدخلها أحيانا مقاطع، ففي قصيدة "يقولون"^{٦٧} في ديوانه "عاشقة الزمن الوردي" تعرض القصيدة في مشهدين اثنين ومقطع واحد، ويظهر الأمل ضمن إيقاع شعري منهمر ومتماسك على تفعيلة المتقارب، فمنذ مطلع القصيدة وحوارها القصصي يتناغم مع الحالة النفسية التي تتقاطع بين إيقاع الصوت والدلالة.

^{٦٦} الشبيبي، ص. ١٣٧.

^{٦٧} السابق، ص. ٢٧٥-٦.

^{٦٤} السابق، ص. ١٥٣.

^{٦٥} محمد غنيمي هلال، ص. ٤٤٨.

ولا هن أوتين فتنة يوس^{٦٦}

ويظهر في إيقاع مشاهد القصيدة أنموذج لقدرات الشاعر التعبيرية، وطبع تناسق الإيقاع بالمعاني ضمن انسجام وجرس داخلي وخارجي مصدره الموهبة المتميزة والخيال الخصب الرفيع، والعناية ضمن ذلك بالوقف والوصل، في سياق ضمير الخطاب الموجه من النَّاص. ففي هذا النص جاءت إزاحة الحرف الأخير من "لقما" و "يوس" لتناسب وقع الشعور الوجداني في صياغة المعنى، حيث ثنائية الإيقاع الموافق للتعبير، فارتفع الهدف الفني، بحيث أن إلغاء الأخير من كلمة "يوسف"، إزاحة تتلاقى مع النقص المتوقع في فرحة الفتيات، وكذلك الانزياح مع الظن برجاحة العقل، فجاء انزياح حرف النون من كلمة "لقمان" لاعتبار المعنى وتناسب الإيقاع. وتأتي القصيدة في خاتمتها بجرس إيقاعي مع ثنائية ألم وأمل تشرح مفهوم أثر الشعر وتأثيره وسياقات حراكه، حيث القصيدة منه "لها يوم سعد، لها يوم بوس".

الخاتمة والنتائج:

• تظهر ثنائية الألم والأمل في شعر محمد الثبتي ظاهرة لها أثر في البناء الشعري عنده.

• سياقات "أمل النص" شمولية في شعر الثبتي، كما أن سياقات "ألم النَّاص" إنفعالات نفسية، وتعتبر من أهم دوافع الأمل، وتحقيق عالمه الافتراضي أو الحقيقي.

• الشعور بالألم والإحباط وجه اللغة الشعرية نحو استعارات بعيدة وغموض في التراكيب، ولكن بصورة فنية جمالية.

• تضمن التعبير الفني تكوين صراع الذات الناتج عن تزوج الألم والأمل، وانعكس ذلك على مجمل التعبير الفني، وبخاصة في تشكيل الصور الفنية، والإيقاع الشعري.

• يظهر الإيقاع الموسيقي ضمن بنية دلالية فنية، ويعكس مهارات عالية في صناعة النص الشعري عند الثبتي، حيث التناغم فيما بين المعنى والإيقاع، ورسم القصيدة ومقاصدها.

• يمثل الأمل رؤية قيمية لمواجهة الواقع، ولرسم المستقبل الجميل، ومتنفساً افتراضياً للشاعر والمتلقي.

• يظل شعر الثبتي مادة ثرة تتضمن الكثير من القيم الإنسانية والتأملية، فضلاً عن الجماليات الفنية التي تظهر جودة الإبداع الشعري المتميز.

^{٦٦} الثبتي، ص. ٢٩٧.

The Relationship Between Hope of the Text and the Pain of the Author in the Poetry of Mohammed al-Thubayti

Abdulrahman Muhammad alWahhabi

*Professor of Modern Literary Criticism King Abdulaziz University, Jeddah
Department of Arabic Language and Literature*

Abstract. Psychological motivations is one of the essential drivers of literary creativity, It is not just a subjective feeling, it is a collective feeling too. This study aims to discuss the structure bilateral relationship of hope and pain that was noticed in Mohammed al-Thubaiti's poetry, and their contextual impact mentally and emotionally in the poetic expression. The study adopts the Inductive method in selecting the study's sample, with psychoanalysis of the phenomenon of hope and pain from the perspective of qualitative content analysis based on meanings, and relations. The discussion start with the concept of hope and the relation between dream and human, and the diverse expressive reactions. The study also explains the textual relations between hope and pain in Mohammed Al-Thubaiti's poetry through their most prominent manifestations and how hope is combined phenomenon with pain. Furthermore the study discusses the general structural features which uncover the expressive discourse duality of hope and pain through imagery and rhythm.

Keywords: Muhammad al-Thubayti, Psychological Criticism, Saudi Poetry